

برنامج أنوار كاشفة سلسلة الموعدة على الجبل الحلقة الرابعة

مستمعي العزيز ، ماهو موقف الناس منك ؟ هل ينظرون إليك نظرة احترام وتقدير ؟ وهل يتخذون منك مثلا يُحتذى به في الأقوال والأفعال ؟ وما هي نظرتك لنفسك ؟ هل تحاول أن تكون قدوة للآخرين من حولك في السلوك والكلام ؟ هذه كلها أسئلة جدير بنا جميعا أن نفكر بها ونحاول الإجابة عنها .

كنا بدأنا قبل عدة أسابيع بالحديث عن موعظة المسيح على الجبل . وتكلمنا عن القسم الأول منها وهي التي تسمى بالتطويبات . ولنلاحظ أن المسيح بعدما عدّد الأسباب التي ينال الإنسان على أساسها الطوبى أو البركة ، انتقل للحديث عن الأثر الذي يجب أن يتركه هذا الإنسان على الآخرين .

وكان المسيح يتوجه في موعظته إلى تلاميذه وعن طريقهم إلى كل الذين سيؤمنون به في المستقبل . تابع المسيح حديثه فقال : “ أنتم ملح الأرض . ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح . لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس .” (إنجيل متى ١٣:٥)

إن الإنسان الذي يتوب عن خطاياها ويقبل نعمة الله المجانية بالتبرير ، يصبح عضوا في ملكوت الله . وكعضو في ملكوت الله يتحمل مسؤولية كبيرة أمام الله وأمام الآخرين ، فهو كما ذكر المسيح ملح للأرض . لكن ماذا قصد المسيح بقوله عن المؤمن الحقيقي أنه ملح للأرض ؟

يتميز الملح بثلاث صفات . أولا : أنه يعطي طعما ومذاقا للطعام . فالطعام دون ملح لا يُستساغ . هكذا المؤمن الحقيقي في وسط المجتمع هو كالمحلي ، أي يجب أن يكون لحياته هدف ومعنى أمام الآخرين . إن المسيحي الحقيقي هو الذي يعيش حياة المحبة والرجاء والفرح ، ولا بد أن تتعكس هذه الصفات على الآخرين من حوله وتؤثر فيهم .

ثانيا : إن الملح يُستخدم لحفظ الأطعمة من الفساد . هكذا المسيحي الحقيقي عليه أن يحارب الفساد في المجتمع وفي كل مكان يحل فيه . وأن يجاهد ضد الشر وضد كل عمل يؤدي إلى الإثم . وبتعبير آخر على المؤمن أن يحفظ العالم من الفساد . هذا هو واجب المؤمن إذا كان يريد حقا أن يكون ملحا للعالم .

ثالثا : وكان الملح يرمز قديما للنقاوة ، ولاشك أن لمعانه ولونه الأبيض يوحيان بذلك . هكذا على المسيحي الحقيقي أن يكون مثلا وقدوة في النقاوة والطهارة . إننا نعيش في عالم تتحدر فيه مستويات الأخلاق والآداب بكل أنواعها . وعلى المسيحي أن يرفع هذه المقاييس في حياته وحديثه ومعاملاته . أي عليه أن يحفظ نفسه بلا دنس من العالم .

وعندما يفسد الملح ويفقد ملوحته لا يصلح لشيء ، لا بل يطرح خارجا ويداس من الناس ، وهذا ما قاله المسيح . هكذا المسيحي الحقيقي عندما لا يؤدي القصد من حياته أن يكون ملحا للأرض ، فلا شك أنه سيكون مصدر شقاء وبلبلة لنفسه وللآخرين . لا بل سيكون مصدر تشويه لحق الإنجيل وعترة للآخرين .

بعدها شبه المخلص المسيح المؤمنين به بالملح انتقل إلى تشبيه جميل آخر فقال: " أنتم نور العالم . لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل . ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت . فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات." (متى ٥: ١٤-١٦)

كلنا نعلم مدى أهمية النور في حياتنا فنحن بحاجة إلى نور الشمس لكي نحيا وننمو . وتبدو حاجتنا للنور ماسة أثناء الليل وخلال الظلمة الحالكة ، فالنور يكشف لنا الطريق ويرينا الأشياء والأشخاص ، ويجعل حياتنا أكثر سهولة . ولا يمكن إخفاء النور أثناء الظلمة فإن بصيصا صغيرا من النور يضيء مكانا مظلما ويغطي مساحة واسعة ويمكن رؤيته من مكان بعيد .

ولقد شبه المسيح نفسه بنور العالم ، فهو النور الحقيقي الذي أتى إلى العالم . ولهذا قال عن نفسه : " أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة ." إن المخلص المسيح هو الذي ينير حياة الإنسان ويطرد الظلمة أي الخطيئة منها ، وعندها يستطيع أن يسلك في النور ، أي في طريق الصلاح والخير . وإذا أراد الإنسان أن يختبر نور المسيح في حياته عليه أن يأتي إليه بالإيمان .

لم يكن غريبا إذن أن يطلب المخلص المسيح من المؤمنين به أن يكونوا هم أيضا نورا للعالم . إن الذي أضاء المسيح حياته وحرره من سلطان الظلمة لابد أن يكون نورا للآخرين الذين مازالوا يعيشون في الظلمة . وكما أنه لا يمكن إخفاء النور هكذا المؤمن الحقيقي عليه أن يظهر نوره أي سلوكه الحسن وأعماله الصالحة أمام الناس الآخرين . وإلا لغدا نوره مخفيا وأصبح إيمانه غير فعال أو مؤثر .

هناك إذن مسؤولية كبيرة على المؤمن الحقيقي الذي اختبر نور المسيح . ولهذا كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل إلى المؤمنين في أفسس يقول : " لأنكم كنتم قبلا ظلمة وأما الآن فنور في الرب . اسلكوا كأولاد نور . " ويتعبير آخر إن كون المؤمن نور يضع عليه مسؤولية كبيرة في أن يسلك بالنور أيضا . أي أن يبتعد عن كل ما هو إثم وخطيئة ، ويفعل الصلاح والخير .

إن عالمنا اليوم مليء بأعمال الظلمة والفساد ، ومن هو جدير بغير أتباع المسيح الحقيقيين لكي يفضحوا هذه الأعمال وينشروا النور ؟ إن كل مؤمن هو ضوء يساعد على طرد الظلمة وإحلال النور مكانه . وهذا لا بد أن يساهم في نشر نور المسيح أي بشارة الخلاص المفرحة على أكبر عدد ممكن من الناس ، وتحريرهم من سلطان الظلمة أي الخطيئة .

إن المسيحيين الحقيقيين يجب أن يكونوا كما أوصى الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في كنيسة فيليبي إذ قال : " افعلوا كل شيء بلا دممة ولا مجادلة لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولادا لله بلا عيب في وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار في العالم . " هذا هو واجب المؤمنين إذن أن يكونوا كأنوار في العالم يعلنون بر الله ويساعدون في الحد من أعمال الإثم والفساد .

وعندما يضيء نور المؤمن أمام الناس الآخرين لا بد كما قال المخلص المسيح أن يروا أعماله الحسنة ، ويقدموا المجد لله الأب الذي هو في السموات . إذ أن الفضل كله يعود إلى الأب السماوي الذي أشرق بروحه وأنار قلب الإنسان من الداخل وجعله بالتالي نورا للآخرين . وإن كل عمل صالح وجيد لا بد أن ينعكس إيجابيا على الناس من حولنا ويأتي بثماره المرجوة .

صديقي المستمع ، ألا ترغب أن تكون ملحا للأرض ونورا للعالم ؟ تعال بتوبة صادقة واطلب من نور المسيح المخلص أن يشرق في قلبك . وعندها سيطرد الظلمة من حياتك ويحررك من عبودية الخطية ، ويجعلك فعلا ملحا للأرض ونورا للعالم . أما إذا كنت قد اختبرت نور المسيح فاطلب من الله أن يجعلك نورا مضيئا في وسط هذا العالم الشرير .